بعض له في ذلك فقال الموت أول منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده
أسهل ومن لم ينج منه فما بعده أشد وأهول ولسر الله قيل يموت المرء
على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه يعني أنه إذا ختم له بخير فإنه
لا يزال الخير ينتاب عليه وقت مكثه في البرزخ بدعاء المسلمين واستغفارهم
حتى ينبعث وقد محصت عنه خطاياه **وقوله** وما ترددت عن
شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره
مساءته ولا بد له منه **قال الخطابي** التردد في حق الله غير جائز
والبداء عليه في الأمور غير سائغ ولكن له تأويلان **أحدهما** أن
العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره بداء يصيبه وفاقة تنزل به
فيدعو الله تعالى فيشفيه منه ويدفع عنه مكروهه فيكون ذلك
من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه
إذا بلغ الكتاب أجله لأن الله تعالى قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء
لنفسه **والثاني** أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيء
أنا فاعله كترديدي إياهم في قبض نفس عبدي المؤمن كما روي في قصة
موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده إليه مرة
بعد أخرى وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به
وشفقته عليه **وقال الكلاباذي**
ما حاصله أنه عبر بصفة الفعل عن صفة الذات عن التردد بالترديد
وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى
أن تنتقل في الحياة إلى محبة في الموت فيقبضه الله على ذلك

وقد

١٤٧

وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه
والمحبة للقاء ما يشتاق معه إلى الموت فضلا عن إزالة الكراهة عنه فأخبر
أنه يكره الموت ويسوؤه ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهة الموت
بما يورده عليه من الأحوال حتى يأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق
وورد في مثل ذلك تفعل بمعنى فعل كتفكر وفكر وتدبر ودبر وتهدد
وهدد والله أعلم **وعن بعضهم** يحتمل أن يكون معنى
التردد أن يكتب في الصحيفة التي بيد الملك أن عمر الولي أن يعيش
خمسين سنة وعمره الذي كتب تسعون فإذا بلغها مرض دعا الله
بالعافية فيحييه الله عشرين أخرى مثلا فعبر عن قدر ذلك التردد
وعبر بما انتهى إليه بحسب الأجل المكتوب بالتردد **وجزم ابن
الجوزي** أن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وإضافة
الحق لنفسه لأن ترددهم عن أمره قال وهذا التردد ينشأ عن الكراهة
التي يكرم الله تعالى بها أولياءه **وقال غيره** إذا أمر الملك
بالقبض كيف يقع منه التردد **فالجواب** أنه يتردد فيما لم يحد
فيه حد كأن يقال لا تقبض روحه إلا إذا رضي **ثم ذكر جوابا**
ثالثا وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك
يؤخر القبض فإذا نظر إلى قدر المؤمن وعظيم النفع به لأهل الدنيا
احترمه فلم يبسط يده إليه فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بدا من امتثاله
ومثال ذلك والله المثل الأعلى أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديبا
فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الوالد